

أغنية نفسي

فاضل العزاوي

شاعر وروائي ومترجم عراقي

عندما بلغت العاشرة من عمري
قلتُ: كل شيء سيكُونُ علي ما يُرام يا فاضل
ما دامت هناك فصولٌ تتعاقب
ما دامَ الشتاءُ يفاجئكَ بأمطاره
والربيعُ بوروده البرية
والصيفُ بأبه اللهب
والخريفُ بحزنه العميق
ما دمتُ تجلسُ أمامَ عتبة بيت أهلك في كركوك
وتراقبُ غيومًا سوداء في سماءِ حمراء
تهربُ، تتبعها خيولٌ وفيلة.
قلتُ في العشرين من عمرك
سوف تخرجُ إلى حديقة المصلى
وتتنزهُ عصرًا في سهل سيد قزي
وفي المساءِ تجلسُ في مقهى قرب القيصرية
وتحدِّقُ في لقالق صغيرة
جاثمةً في أعلى ناقشلي مناره سي
تُزقِّقُ لك.

حسام سالم، شاطئ البحر، فلسطين - قطاع غزة



بعد الآخر
بجوازاتٍ مزوّرة
أو يعبرون الحدود
مع مهريين يقودون حميرهم
في شعابِ جبالٍ عاليةٍ وخطرة
وهكذا سكرنا
تارةً هنا وتارةً هناك
في برلين أو قبرص
في لندن أو باريس
وأحياناً
في الجحيم.

المقوى
لتقرأها ثانية .
عندما بلغتُ الخمسين من عمري
رأيتُ شجرتنا تُقطع بالفأس
وبيتنا تقطنه الجرذانُ
وكتبي مطمورة في بئر.
والآن ماذا ستقولُ لنفسك يا
فاضل
وقد أحرقتُ وراءك السفن كلها؟
آه، لا أريدُ أن أقول شيئاً
لن أقول أي شيء
دعوني، اللعنة!
فقد بلغتُ النهاية
في لحظةٍ واحدة
وختمتُ كل حكمةٍ في العالم
حتى قبل أن أعرف
ما الذي حدث .

ما دامت ذكرياتك معك على
الأقل .
في الخمسين من عمرك
سوف تعودُ إلى شجرتك
المنسية
لتسقيها الماء بكفّيك
إلى بيتك الذي أكلته الأرضة
لترمه من جديد
الى كتبك المتروكة في صناديق

عندما بلغتُ العشرين من
عمري
لم أكن في حديقةٍ أو مقهى
وإنما في سجنٍ ببغداد
يحرسه شرطيون ريفيون
يوقظوننا كلّ صباحٍ
فنركضُ أمام عصيهم تجلُدُ
ظهورنا
لنقرفصَ في المسطر
في صفوفٍ طويلةٍ
حيث نُعدُّ مثل أغنامٍ يتفحصها
القصاب
قبل اقتيادها إلى المسلخ .
قلتُ: كل شيءٍ سيكون على ما
يرام يا فاضل
ما دامت الحياةُ كلّها لا تزالُ
أمامك
وقلبك عامراً بالآمال .
في الثلاثين من عمرك
سوف تعودُ إلى أهلك
ويعودُ إليك أصدقاؤك الغائبون
من منافيهم البعيدة

ليحدثوك عن مدنٍ في مدار
الجلي
وأخرى في القطب .
عندما بلغتُ الثلاثين من عمري
كنتُ أنا نفسي في المنفى .
قلتُ: كل شيءٍ سيكونُ على ما
يرام يا فاضل
في الأربعين من عمرك
سوف تعودُ إلى شعراءٍ مُفلسين
ينتظرونك مساءً
جالسين على التخوّب
فوق الرصيف
يحتسون الشاي في مقهى
مجيد
لتسكروا جميعاً ليلةً بعد أخرى
في نادي العدالة
وتشتموا الحكومة
متسكعين في الشوارع الخالية
حتى الفجر .
عندما بلغتُ الأربعين من عمري
رأيتهم يهربون جميعاً، واحداً